

# القسم الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الفيقيه العالم

### أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمى

أى شرف لأهل الأندلس ومفخر ، وأى محمّد شيد الإسلام وسحر، خلّدت  
منه الأندلس فقيهاً عالماً، أعاد مجاهل جهلها معلماً. وأقام فيها للمعالم سوقاً نافقه،

هو عبد الملك بن حبيب الفقيه الكبير عالم الأندلس أبو مروان السلمى ثم المرادسى  
الأندلسى القرطى، ولا بعد السبعين ومائة. وسمع الغازى بن قيس وغيره وحج فأخذ عن  
عبد الملك بن الماجشون وأسد السنة وأصبع بن الفرج، ورجع بعلم جم . روى عنه بقى  
ابن مخلد وابن وضاح وأخرون. وهو أول من أظهر الحديث بالأندلس، ولم يكن بالمتقن له  
ولا يميزه ولا يفهم صحيحه من سقيم ولا يدرى الرجال ويقنع بالمناولة . وكان رأساً فى  
مذهب مالك، فقيهاً تحويلاً شاعراً أخبارياً نسابه طويل اللسان متصرفاً فى فنون العلم ،  
مات فى سنة ٢٣٩ هـ .

انظر المزيد فى : طبقات النحويين واللغويين ١٧٦ ، تاريخ علماء الأندلس ١ / ٢٦٩ ،  
جذوة المقتبس ٢٨٢ ، ترتيب المدارك ٣ / ٣٠ ، بغية الملتصم ٣٣٧ ، إنباه الرواة  
٢ / ٢٠٦ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٣٧ ، سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٠٢ ، العبر ١ / ٤٢٧ ،  
ميزان الاعتدال ٢ / ٦٥٢ ، مرآة الجنان ٢ / ١٢٢ ، البداية والنهاية ١٠ / ٣١٨ ، معجم  
البلدان ١ / ٣٢٣ ، الديساج المذهب ٢ / ٨ ، قذيب التهذيب ٦ / ٣٩٠ ، لسان الميزان  
٤ / ٥٩ ، طبقات ابنس قاضى شهبة ٢ / ١٠٠ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٩٣ ، بغية  
الوعاة ٢ / ١٠٩ ، طبقات المفسرين ١ / ٣٤٧ ، نفع الطيب ١ / ٤٦ و ٢ / ٨٥ ،  
شذرات الذهب ٢ / ٩٠ ، طبقات الحفاظ ٢٥٧ .

ونشر منها الوية خاققه ، وجلا عن الألباب صدا الكسل، وشحذها شحذ الصوارم والاسل، وتصرف في فنون العلوم، وعرف كل معلوم، وسمع بالأندلس وتفقه، حتى صار أعلم من بما وأفقه، ولقى انجاب مالك، وسلك من مناظراتهم أوعر المسالك، حتى أجمع عليه الاتفاق، ووقع على تفضيله الاصفاق، ويقال أنه لقي مالكا آخر عمره ، وروى عنه عن سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود عليه السلام كان يركب إلى بيت المقدس فيتغذى بها ثم يعود فيتعشى باصطخر وله في الفقه كتاب الواضحة ومن أحاديثه غرائب، قد تحلت بها للزمان نحور وترائب، وقال محمد بن لبانة فقيه الأندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وراويها يحيى بن يحيى، وكان عبد الملك قد جمع إلى علم الفقه والحديث علم اللغة والأعراب، وتصرف في فنون الآداب، وكان له شعر يتكلم به سحرأ، وترى ينبوعه بذلك منفجراً، توفي بالأندلس في رمضان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وهو ابن ثلاث وخمسين سنة بعد ما دوخ الأرض، وقطع طولها والعرض، وجال في أكنافها وانتهى إلى أطرافها، ومن شعره قوله :

هَيِّنْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي قَدْرَتِهِ <sup>(١)</sup>  
لِعَالَمِ أَرَبِي عَلَى بَغِيَّتِهِ

قد طاح أمرى والذي أبتغى  
ألف من الخمر وأقلل بها

(١) ورد في المغرب في حلى المغرب ٢ / ٩٦

هَيِّنْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي قَدْرَتِهِ  
لِعَالَمِ أَرَبِي عَلَى بَغِيَّتِهِ  
وَصَنَعْتِي أَشْرَفَ مِنْ صَنِيْعَتِهِ

ملاك أمرى والذي أرتجى  
ألف من الشُّقْرِ وأقلل بها  
يأخذُها زَرِيَابَ فِي دَقَّةِ

وكتب إلى محمد بن سعيد الترحالى رسالة ووصلها بهذه الآيات:

كيف يطبق الشعر من أصبحت	حالته اليوم كحال الفرق
والشعر لا يسلس الأعلى	فراغ قلب واتساع الخلق
فأقتنع بهذا القول من شاعر	يرضى من الحضرة بأدنى العنق
فضلك قد بان عليها كما	بان لأهل الأرض ضوء الشفق
أما ذمام الود منى لكم	فهو من المختوم فيما سبق

ولم يكن له علم بالحديث يعرف به صحيحه من معناه ولا يفرق بين مستقيمه من محمله وكان غرضه الإجازة وأكثر روايته غير مستجازة، قال ابن وضاح قال إبراهيم بن المنذر أتى صاحبكم الأندلسى يعنى عبد الملك هذا بمرارة مملوءة فقال لى هذا علمك قلت له نعم ما قرأ علىّ منه حرفاً ولا قرأته عليه ، وحكى أنه قال فى دخوله الشرق وحضر مجلس الأكاير فازدراه من رآه فقال :

لا ينظرون إلى جسمى وقلته	والنظر لصدري وما يحوى من السنن
فرب ذى منظر من غير معرفة	ورب من تزدرية العين ذو فطن
ورب لؤلؤة فى عين مزبلة	لم يلق بال لها إلا إلى زمــــن



## الفقيه القاضى

### أبو الحسن منذر بن سعيد البلوطى

#### رحمه الله تعالى

آية حركة فى سكون، وبركة لم تكن معدة ولا تكون، وآية سفاهة فى تحلم، وجهامة ورع فى طى تبسم، إذا جد تجرد وإذا هز نزل وفى كلتا الحالتين لم يزل لورع عن مرقب، ولا أكتسب أثماً ولا احتقب، ولى قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن وناهيك من عدل أظهر ومن فضل اشتهر، ومن جور قبض، ومن حق رفع ومن باطل خفض، وكان مهياً طيباً صارماً غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لأحد

\* هو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النفرى القرطبى أبو الحكم البلوطى قاضى قضاة الأندلس فى عصره. كان فقيهاً خطيباً شاعراً فصيحاً، نسبته على فحص البلوط بقرب قرطبة ويقال له الكزنى نسبة إلى فنخذ من البربر يسمى كزنة رحل حاجاً سنة ٣٠٨ هـ ، فأقام فى رحلته أربعين شهراً. أخذ بما بعض علماء مكة ومصر. ولد سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م ومات سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م . قال ابن الفرضى: كان بصيراً بالجدل منحرفاً إلى مذاهب أصحاب الكلام، لهجا بالاحتجاج ولى قضاء ماردة وماوالها ثم قضاء الثغور الشرقية، فقضاء الجماعة بقرطبة سنة ٣٣٩ واستمر إلى أن توفى فيها، لم تحفظ عليه مدة ولايته قضية جور . له كتب فى القرآن والسنة والرد على أهل الأهواء. منها الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله ويسمى أحكام القرآن و " الإبانة عن حقائق أصول الديانة " و " الناسخ والمنسوخ " .

انظر المزيد فى : تاريخ علماء الأندلس ١٧ / ٢ ، نفع الطيب ١ / ٣٣٥ ، قضاة الأندلس ٦٦ ، بغية الملتبس ٤٥٠ ، بغية الوعاة ٣٩٨ ، أزهار الرياض ٢ / ٢٩٤ - ٢٩٧ ، جذوة المقتبس ٣٢٦ ، الكامل ٢٢٣ / ٨ ، أنباه الرواة ٣ / ٣٢٥ ، إرشاد الأريب ٧ / ١٧٨ - ١٨٥ .

من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم واستمر في القضاء إلى أن مات الناصر لدين الله ثم ولى ابنه الحكم فأقره وفي خلافته توفي ، بعد أن استعفى مراراً فما أعفى، فلم يحفظ عليه مدة ولايته قضية جور ولا عدت عليه في حكومته ذلة وكان غزير العلم كثير الأدب متكلماً بالحق متبيناً بالصدق له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع، والرد على أهل الأهواء والبدع، وكان خطيباً بليغاً وشاعراً محسناً وُلد سنة ثلاث وعشرين ( ومائتين ) عند ولاية المنذر بن محمد وتوفي يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

( ومن شعره في الزهد )

كم تصابي وقد علاك المشيب	وتعامى عمداً وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير	إن يوم الحمام منك قريب
يا سفيها قد حان منه رحيل	بعد ذاك الرحيل يوم عصب
أن للموت سكرة فارتقبها	لا يداويك أن أتتك طيب
كم تراني حتى تصير رهينا	ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليهم	فأعملن جاهداً لها يارتيب
وتذكر يوماً تحاسب فيه	إن من يذكر فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر إلا	للمنايا عليك فيها رقيب

وذكر أن أول سببه في التعلق في الناصر لدين الله ، ومعرفته به وزلفاه، أن الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم وصاحب القسطنطينية بقصر فرطبة الاحتفال الذي أشتهر ذكره، وأنهر أمره، أحب أن تقوم الخطباء والشعراء بين يديه تذكر جلاله مقعده ووصف ماقيمياً له من توطد الخلافة ورمى الملوك بآمالها وتقدم إلى الأمير الحكم ابنه بإعداد من يقوم لذلك من الخطباء ويقدمه إمام نشيد

الشعراء، فتقدم الحكم إلى أبي علي البغدادي ضيف الخلافة وأمير الكلام، وبجر اللغة أن يقام ، فقام رحمه الله وأثنى على الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنقطع ، وبهت فما وصل الاقطع ، ووقف ساكناً متفكراً، وتشوف لا ناسياً ولا متذكراً فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام بذاته، بدرجة من مرقاته فوصل افتتاح أبي علي البغدادي بكلام عجيب، ونادى من الإحسان في ذلك المقام كل مجيب، وقال أما بعد: فإن لكل حادثة مقاماً ولكل مقام مقال، وليس بعد الحق إلا الضلال وأنى قد قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم فأصغوا لى بأسماعكم، وأمنوا على فأنشدتكم ، معاشر الملأ أن من الحق أن يقال للمحقق صدقت، وللمبطل كذبت، وأن الجليل تعالى في أسمائه وتصدق بصفاته أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أن يذكر قومه بنعم الله عز وجل عندهم وأنا أذكركم نعم الله تعالى عليكم وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي أمنت سربكم ورفعت خوفكم وكتتم قليلاً فكشركم ومستضعفين فقواكم ومستذلين فنصركم ولاة الله رعايتكم، وأسند إليه أمانتكم، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الأفاق، وأحاطت بكم تشعل النفاق، حتى صرتم في مثل حدقة البعير، مع ضيق الحال ونكد العيش والتغيير، فأستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء، وانتقلتم بيمن سياسته إلى كنف العافية بعد استيطان البلاء ، ناشدتكم يا معشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها، والسبل مخوفة فأمنها، والأموال منتهية فأحرزها وحصنها ، ألم تكن البلاد خراباً فعمرها، وثغور المسلمين مهتزمة فحماها ونصرها، فأذكروا آلاء الله عليكم بخلافته، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإماماته، حتى أذهب عنكم غيظكم ، وشفى صدوركم ، وصرتم يدا على عدوكم بطوية خالصة، وبصيرة ثابتة وافرة فقد فتح الله عليكم أبواب البركات، وتواترت عليكم أسباب الفتوحات، وصارت وفود الروم وافدة عليكم، وآمال الاقصين والأدنيين إليكم،

يأتون من كل فج عميق، وبلد سحيق، ولا أحد يحيل بينه وبينكم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ولن يخلف الله وعده ، ولهذا الامر ما بعده، وتلك أسباب ظاهرة تدل على أمور باطنة دليلها قائم، وغيبها عالم، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾<sup>(١)</sup> وليس في تصديق ما وعد الله عز وجل ارتياب، ولكل نبأ مستقر ولكل أجل كتاب، فأحمدوا الله أيها الناس على آلائه، وسلوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله تعالى بالعصمة والسداد، وأهمه بخالص التوفيق سبيل الرشاد، فأستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لامامكم ، والتزام الطاعة لخليفتم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم فإن من نزع يده من طاعة ، وسعى في فرقة الجماعة، وفر من الديانة، فقد خسر الدنيا والآخرة إلا ذلك هو الخسران المبين وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من شرور المشركين وصنوف الملحدين، الساعين في شق عصاكم وتفريق ملتكم ، وهتك حرمتكم ، وتوهين دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين والمرسلين ، أقول قولي هذا والحمد لله رب العالمين ، وأنشد يقول :

فرقت به ما بين حق وباطل  
كبارق رعد عند رقص لا ناضل  
ولا طار عقلى يوم تلك البلايل  
لمقتبل أو في العصور الأوائل  
كمثل سهام أثبتت في المقاتل

مقال كحد السيف وسط المخافل  
بقلب ذكى ترعى جبناته  
فماد حضت رجلى ولازل مقولى  
بجحر إمام كان أو هو كائــــن  
وقد حدقت نحوى عيون أجاهها

(١) سورة النور الآية ٥٥ .

ترى الناس أفواجاً يؤمنون دهره  
وفود ملك الروم وسط فنائه  
فعمش سالماً أقصى حياة معمر  
وكلهم ما بين راض وآمل  
مخافة بأس أو رجاء لسائل  
فأنت غياث كل حاف وناعل

فقال العليج هذا والله كبش الدولة وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات جنانه، وبلاغة لسانه، وكان الخليفة الناصر لدين الله أشد تعجباً منه وأقبل على ابنه الحكم ولم يكن يثبت معرفة عينه وقد سمع باسمه فقال الحكم هذا منذر بن سعيد البلوطي فقال : والله لقد أحسن ما أنشأ ولئن أبقاني الله تعالى لارفعن من ذكره فضع يدك يا حكم عليه واستخلصه وذكركني بشأته فما للصنيعة مذهب عنه فلما انتهى الناصر إلى الجامع بالزهراء ولاه الصلاة فيه والخطبة ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضاء الجماعة بقرطبة وأقره على الصلاة بالزهراء وكان الخليفة الناصر كلفاً بعمارة الأرض وإقامة معالمها وتكثير مياهها واستجلابها من أبعاد بقاعها وتحليل الآثار الدالة على قوة ملكه وعزة سلطانه وعلو همته فافضى به الأغراق في ذلك إلى ابتناء مدينة الزهراء الشائع ذكره، الذائع خبره، المنتشر في الأرض أثره ، واستفرغ وسعه في تنجيدها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها فأتممك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي أتخذته فأراد القاضي منذر بن سعيد رحمه الله وجه الله في أن يعظه ويقرعه في التائب ويقص منه بما يتاوله من الموعدة بفصل الخطابة، والتذكير بالإنابة، فابتدأ أول خطبته بقوله تعالى: ﴿ أَتَّبِثُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ \* وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ \* وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عِوَانِي \* وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ \* أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ \* وَجَنَاتٍ وَعَيْونٍ \* إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١)

(١) سورة الشعراء الآيات ١٢٧ - ١٣٥ .

ووصل ذلك بكلام جزل ، وقول فصل، جاش به صدره، وقذف به على لسانه بحره، وأفضى في ذلك إلى ذم المشيد والاستغراق في زخرفته، والسرف في الانفاق عليه فجرى في ذلك طلقا ، وتلافيه قوله تعالى :

﴿ أَقْمَنَ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) وأتى بماشاكل المعنى من التخويف للموت والتحذير منه والدعاء إلى الله عز وجل في الزهد في هذه الدنيا الفانية والحض على اعتزالها والتبيين لظاهر معانيها، والترغيب في الآخرة وبقائها، والتقصير عن طلب الدنيا وهى النفس عن اتباع الشهوات وتلا من القرآن العظيم ما يوافق، وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله ويطابقه، حتى بكى الناس وخشعوا ، وضجوا وتضرعوا، وأعلنوا الدعاء إلى الله تعالى فعلم الخليفة أنه هو المقصود به ، والمعتمد بسببه، فاستجدى وبكى وندم على ما سلف منه من فرطه، واستعاذ بالله من سخطه واستعصمه برحمته إلا أنه وجد على منذر بن سعيد لفظه الذى قرعه به فشكا ذلك إلى ولده الحكم بعد انصرافه وقال: والله لقد تعمدي منذر بخطبته وأسرف في ترويعي ، وأفرط في تفريعي، ولم يحسن السياسة في وعظي وصيانتى عن توبيخه ثم استشاط وأقسم أن لا يصلى خلفه الجمعة أبدا فقال له الحكم وما الذى يمنعك عن عزل منذر بن سعيد والاستبدال به فزجره وانتهره وقال أمثل منذر بن سعيد في فضله وورعه وعلمه وحلمه لا أم لك يعزل في ارضاء نفس ناكبة عن الرشيد، سالكة غير القصد، هذا مالا يكون وأنى أستحى من الله تعالى ألا أجعل بينى وبينه شقيعاً في صلاة الجمعة مثل منذر بن سعيد ولكنه وقد

(١) سورة التوبة الآيات ١٠٩ - ١١٠ .

نفسى وكاد يذهبها والله لوددت أن أجد سبيلاً إلى كفارة يمينى بملكى بل يصلى  
بالناس حياته وحياتنا فما أظننا نعتاض منه أبداً، وعذله قوم من اخوانه لتكنيته  
لرجل كان يسبه فقال :

لا تعجبوا من أنى كنيته  
فالله قد كنى أبا هب وما  
من بعد ما قد سبنا وهاجنا  
كناه إلا خزية وهواننا

( ومن قوله فى الزهد )

ثلاث وستون قد حزمتها  
وحل عليك نذير المشيب  
تمر ليالىك مرا حثيثاً  
فلو كنت تعقل ما ينقضى  
فمالك لا تستعد إذا  
أترغب فى فجاه المنسون  
فأما إلى جنّة أزلقت  
فماذا تؤمل أو تنتظر  
فما ترعوى بل وما تزدجر  
وأنت على ما أرى مستمر  
من العمر ما اعتضت خيراً بشر  
لدار المقام ودار المقر  
وتعلم أن ليس منها وزر  
وأما إلى سقر يستعر

وقحط الناس فى بعض السنين آخر مدة الناصر لدين الله أمير المؤمنين فأمر  
القاضى مندر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء فتأهب لذلك وصام بين يديه ثلاثة  
أيام تنقلاً واثابة واستجاء ورهبة واجتمع الناس له فى مصلى بقرطبة بارزين إلى الله  
تعالى فى جمع عظيم وصعد الخليفة الناصر فى أعلى مصانع القصر المشرفة ليشرك  
الناس فى الدعاء إلى الله تعالى والضراعة فلما سرح طرفه فى ملأ الناس وقد  
شخصوا إليه يابصارهم قال يا أيها الناس وكررها مشيراً بيده فى نواحيهم ثم قال :

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ اللَّهُ مَنِ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) ، ﴿ أَنتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ \* إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ \* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (٢) فضج الناس بالدعاء وارتفعت الأصوات بالاستغفار والتضرع إلى الله تعالى بالسؤال والرغبة في إرسال الغيث ووصل الحال ومضى على تمام خطبته فأفزع النفوس بوعظه وانبعث الإخلاص بتذكيره فما أتم خطبته حتى بللهم الغيث، وذكروا أن الخليفة الناصر لدين الله جاء غداة ذلك اليوم فحركة للخروج وذكر له عزمه عليه والسابقون متسابقون إلى المصلى فقال للرسول وكان من خواص حلفاء الصفاء إليه باليت شعري ما الذى يصنعه الخليفة سيدنا فقال له : ما رأينا قط أخشع منه في يومنا هذا أنه لمتبذ حائر منفرد بنفسه لا بس أخشن الثياب، مفترش التراب قد رومى به على رأسه وعلى لحيته وبكى وأعترف بذنوبه وهو يقول هذه ناصيتي بيدك أتراك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء منى قال فتهلل وجه القاضى منذر بن سعيد عندما سمع من قوله وقال يا غلام أحمل المطر معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا إذا خشع جبار الأرض فقد رحم جبار السماء وكان كما قال فلم نصرف إلا عن الصقيا، قال وكان القاضى منذر بن سعيد من ذوى الصلابة فى أحكامه والمهابة فى أفضيته وقوة القلب فى القيام بالحق فى جميع ما يجرى على يديه لا يهاب فى ذلك الأمير الأعظم فمن دونه ومن مشهور ما جرى له فى ذلك قصته المشهورة فى أيتام أخى نجدة حدثنى بها جماعة من أهل العلم والرواية وهى أن الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد احتاج

(١) سورة الأنعام الآية ٥٤ .

(٢) سورة فاطر الآية ١٥ - ١٧ .

إلى شراء دار بقرطبة لحظية من نسائه تكرم عليه فوق استحسانه على دار كانت لأولاد ذكريا أختي نجدة كانت بقرب النشارين في الربض الشرقي منفصلة عن دور يتصل بها حمام العامة له غلة واسعة وكان أولاد ذكريا أيتاماً في حجر القاضي فأرسل الخليفة له من قيمتها بعدد ما طابت به نفسه وأرسل ناساً وأمرهم بمداخلة وصى الأيتام في بيعها عليهم فذكر أنه لا يجوز إلا بأمر القاضي إذ لم يجوز بيع الأصل إلا عن رأيه ومشورته فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار فقال لرسوله على الأيتام لا يصح إلا لوجوه منها الحاجة ومنها الوهي الشديد ومنها الغبطة فأما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الأيتام إلى البيع وأمسنا الوهي فليس فيها وأما الغبطة فهذا مكانها فان أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما يستين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع وإلا فلا فنقل جوابه هذا إلى الخليفة فأظهر الزهد في شراء الدار طمعاً أن تتراخي رغبته فيها وخاف القاضي أن تبعث منه عزيمة تلحق الأولاد سورتما فأمر وصى الأيتام بنقض الدار وبيع انقاضها ففعل ذلك وباع الانقاض وكانت لها قيمة بأكثر مما قومت به للسلطان فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها فاحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك فأرسل عند ذلك القاضي وقال له أنت أمرت بنقض دار أختي نجدة فقال له نعم قال له وما دعاك إلى ذلك قال أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى : ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾<sup>(١)</sup> فمقومك لم يقدرها إلا بكذا وبذلك تعلق وهمك فقد نص في انقاضها أكثر من ذلك وبقيت الدار والحمام فضلاً ونظر الله تعالى للأيتام

(١) سورة الكهف الآية ٧٩ .

فصبر الخليفة على ما أتى من ذلك وقال نحن أول من انقاد إلى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيراً قال وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعاية فرمما ساء ظن من لا يعرفه حتى إذا رام أن يصيب من دينه شعره ثار عليه ثورة الأسد الضارى، فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالى شهر رمضان المعظم مع أينا للأفطار بداره البرانية فإذا يسائل يقول يا أهل هذه الدار الصالحين أطعمونا من عشائكم أطعمكم الله من ثمار الجنة هذه الليلة وأكثر من ذلك فقال القاضى أن أستجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد وحكى عنه قاسم بن أحمد الجهنى أنه ركب يوماً لحيازة أرض محبة في ركب من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو إبراهيم اللؤلؤى قال فسرنا نقفوه وهو إمامنا وأمامه إمامه يحملون خرائطه وعلى ذويه السكينة والوقار وكانت القضاة حينئذ لا تراكب ولا تماشى فعرض لسه بعض الطريق كلاب مستوحمة وهى تعلق عنها وتدور حوله فوقف وصرف وجهه إلينا وقال ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب بالهن الذى تعلقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا وبقينا متعجبين من هزله، وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوماً فى خلوة له فى بستان الزهراء على بركة ماء طافحة ، واسط روضة نافحة فى يوم شديد الوهج الحر والجهد، وبث منه ما تجاوز الحد، فأمر بخلع ثيابه والتخفف من جسمه ففعل ولم يطفىء ذلك ما به فقال له الصواب أن تنغمس فى وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك ولم يكن مع الخليفة إلا الحاجب جعفر الخادم الصقلبى أمينه والحكم لا رابع لهم فكانه استحيا من ذلك وانقبض عنه وقارا ، وأقتصر عنه إقصاراً، فأمر الخليفة حاجبه جعفرأ يسبقه بالترول فى الصهريج ليسهل الامر فيه على القاضى فبادر جعفر لذلك وألقى بنفسه فى الصهريج وكان يحسن السباحة

فجعل يجول يميناً وشمالاً فلم يسع القاضى إلا إنقاذ أمر الخليفة فقام وألقى بنفسه خلف جعفر ولاذ بالقعود في درج الصهريج، وتدرج فيه بعض تدرج ولم ينسبط في السباحة وجعفر يمر مصعداً ومصوباً فُدسه الحكم على القاضى وحمله على مساجلته في العوم فهو يعجزه في إخلاذه إلى القعود ويعاتبه بإلقاء الماء عليه، والإشارة بالجذب إليه، وهو لا ينبعث معه ، ولا يفارق موضعه، إلى أن كلمه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب في فعله وتقفر معه، وتقبل صنعه، فمنن أجلك نزل، وبسببك تبذل، فقال له يا سيدى يا أمير المؤمنين الحاجب سلمه الله لا هو جل معه وأنا بهذا الهوجل الذى معى يعقلنى ويعننى من أن أجول معه مجاله فاستفرغ الحكم ضحكاً من نادرته ولطيف تعريضه لجعفر وخجل جعفر من قوله وسبه سب الأشراف وخرجا من الماء وأمر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما، وذكر أن الخليفة الحكم قال له يوماً : لقد بلغنى أنك لا تجتهد للأيتام وأنك تقدم لهم أوصياء سوء يأكلون أموالهم قال نعم وان أمكنهم نيك أمهاتهم لم يعفوا عنهن قسأل وكيف تقدم مثل هؤلاء قال: لست أجدر غيرهم ولكن أحلنى على اللؤلؤى وأبى إبراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا جبرهم بالسوط والسجن ثم لا تسع الأخير، ومن أخبار منذر بن سعيد المحفوظة مع الخليفة عبد الرحمن فى إنكاره عليه الإسراف فى البناء أن عبد الرحمن كان قد أتخذ إلى السطح العنيسة الصغرى التى كانت مائلة إلى الصرح الممرود المعروف بقصر الزهراء المشهور بأن له قرامد ذهب وفضة أنفق عليها مالاً جسيماً وجعل سقفها صفراء فاقعة، إلى بيضاء ناصعة، تسلب الأبصار بمطارح أنوارها المشعشة وجعل فيها أثر أتمامها لأهل مملكته مشهداً فقال لقرابته ومن حضره من الوزراء وأهل الخدمة مفتخراً عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يتصل به من البدائع الفتانة هل رأيتم قبلى أو سمعتم من فعل مثل فعلى هذا أو قدر عليه فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين أنك لأوحد فى شأنك كله ولا سبقك فى مبدعاتك

هذه ملك رأيتاه ولا انتهى إلينا خبره فأبججه قوهم وبيننا هو كذلك سار ضاحك إذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد وأجمانا كسا ذقنه فلما أخذ مجلسه قال له كالذى قال لوزرائه من ذكر السقف واقتداره على ابداعه فجرت دموع القاضي تنحدر على لحيته وقال : والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان أحزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ ولا الآن تمكته من قيادتك هذا التمكين ، مع ما أتاك الله وفضلك على العالمين، حتى أنزلت منازل الكافرين، قال فأقشعر عبد الرحمن من قوله وقال انظر ما تقول كيف أنزلني منازلهم قال نعم أليس الله تبارك وتعالى يقول ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يفكر بالرحمن ليوهم سقفاً من فضة ومعارض عليها يظهر ليوهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون قال فوجم الخليفة ونكس رأسه ملياً ودموعه تجرى على لحيته خشوعاً لله تبارك وتعالى وتذمماً إليه ثم أقبل على منذر وقال له : جزاك الله تعالى يا قاضى خيراً عنا وعن المسلمين والدين وكثر في الناس أمثالك ، فالذى قلت هو والله الحق وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى وأمر بنقض سقف القبة وأعاد قرامدها تراباً.



## الفقيه

# الأجل القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى

## من بنى يحيى بن يحيى الليثي

وهذه تشية علم وعقل ، وصحة ضبط ونقل ، كان علم الأندلس وعالمها  
الندس ، ولي محمد هذا القضاء بقرطبة بعد رحلة رحلها إلى المشرق، وجمع فيها من  
الروايات والسماع كل متفرق، وجال في آفاق ذلك الأفق لا يستقر في بلد، ولا  
يستوطن في مظلومه جلد، ثم كر إلى الأندلس فسمت رتبته، وتحلت بالأمانى لبتة،  
وتصرف في ولايات أحمد فيها منابه، واتصلت بسببها بالخليفة أسبابه، فولاه القضاء  
بقرطبة فتولاه سياسة محموده ، ورئاسة في الدين مبرمة القوى مجهودة ، والتزم فيها  
الصرامة، في تنفيذ الحقوق والحزامة ، في إقامة الحدود والكشف عن البيئات في  
السر، والصدع بالحق في الجهر، لم يستمله مخادع ولم يكده مخاتل ولم يهب ذا حرمة

\* انظر المزيد في : الحلة السراء ١ / ٩٨ ، المقتبس ٥١٩ .

هو محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن أبي عيسى كثير بن وسلاس المصمودي  
قاضي أندلسي، له علم بالأدب، من أهل قرطبة ولد سنة ٢٨٤ هـ ، ٨٩٨ م ، ونشأ  
وتعلم فيها وحج سنة ٣١٢ هـ فأخذ عن بعض شيوخ القيروان والحجاز وولى قضاء  
كورة جيان وكورة البيرة وكورة طليطلة ثم قضاء الجماعة بقرطبة في أواخر سنة  
٣٢٦ هـ وكان الخليفة ينتدبه في السفارات إلى كبار الأمراء ويرسله لترتيب المغازي،  
فيقيم مقام أصحاب السيوف من قواد جيوشه ثم أخرج من قرطبة في صدر سنة  
٣٣٨ هـ فلما جاوز طليطلة توفي في إحدى قرأها ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م ودفن بطليطلة .

ولا داهن جانبه فلم يجسر أحد منهم عليه وكان له نصيب وافر من الأدب ، وحظ  
من البلاغة إذا نظم وإذا كتب ، فمن ملح شعره ، ما قاله عند أوبته من غربته :

كان لم يكن بين ولم تك فرقة  
كان لم تورق بالعراقيين مقلتي  
ولم أزر الأعراب في جنب أرضهم  
ولم أصطحب بالبيد من قهوة الندى

( وله أيضاً )

ماذا أكابد من ورق مفردة  
رددنا شجوا شجا قلبي الخلى فهل  
ذكرته الزمن الماضي بقرطبة  
هم الصباية لولا همة شرفت

وله أخبار تدل على رقة الفراق، والتغذى بماء تلك الآماق، فمنها أنه خرج إلى  
حضور جنازة بمقابر قريش وكان رجل من بني جابر يؤاخيهِ وله منزل فعزم عليه في  
الميل إليه وعلى أخيه فترلا عليه فأحضر لهما طعاماً وأمر جارية له بالغناء فغنت  
تقول :

طابت بطيب لئانك الاقـداح  
وإذا الربيع تنسنت أرواحه  
وزها بحمرة خدك التفاح  
فضايا وجهك في الدجى مصباح

فكتبها القاضي في ظهر يده وخرج من عنده وقال يونس بن عبد الله قد رأيته  
يكبر للصلاة على الجنازة والآيات مكتوبة على ظهر كفه وكان يلقب بالمقربلة  
فرفعت إليه امرأة متظلمة كتاباً تتظلم فيه من المعروف بالقباحة خال ولي العهد  
الحكم تذكُر أنه غضبها حقها في ضيعة ورسمت الكتاب بعيه وذمه والدعاء عليه

كل ذلك تسميه بلقبه فلم يفك القاضى كتابها لضعفه واضطرابه فأخذ القاضى مظلمتها من لسانها وكرم المشكو له لعظمته بأن أحر الإرسال فيه وكتب إليه على ظهر كتابها يحيل عليه فيما تضمنه من الشكوى ويحضه على إنصافها وأرسلها بالكتاب إليه فلما قرأه اجابه تحت الفصل الذى كتبه إليه يحيل على وكيله وتبرأ من اساءته إلى المرأة دون بينه ولا يعين ويعدد عن القاضى فيما قابله به فساء ذلك القاضى وعز عليه أهماله ذلك من نفسه فلما ركب إلى الزهراء وخرج من عند الخليفة قصد إلى القباحة ونزل عليه واعتذر إليه مما عدده وأقسم له أنه لم يستوف الكتاب المرفوع إليه، ولا وقف عليه، وقال له يا سيدى لا تكترث لهذا فقلما نجا منه أحد أنى أعرفك أن لقبى المقربلة ولقب والدى مرتكش ولجدى واله لقب لست أعرفه ولكن أخى أبو عيسى يعرفه وهو غائب فإذا وصل كتبت به عليك فضحك القباحة من قوله وأثنى عليه على طيب خلقه، وجاءه فى بعض الأيام من باديته حمل دقيق عليه قفص دجاج وكان على بابه المعتوه المعروف بابن شمس الضحى وكان فى ولاية القاضى من صغره إلى أن شاخ وبلغ السن الطويلة وإلى أن مات أسفه ما يكون وكان من شأنه مواظبة دار القضاة فى كل وقت شاكياً أو صابه فلما رأى الدجاج قال يا قاضى أعطنى دجاجة منهم لا بد والله أن تعطينى وكان لا يقدر على رده إذا علق يارادته والاجاء من حقه العجب العجائب فأمر القاضى فأعطى دجاجة فأخذها ومر بما فرحاً يفخر بعطية القاضى فمر بدرب ابن أبى زيد شرق المسجد الجامع فإذا برجل متفقه يلقب بديك البادية جالس على باب داره يطلب فكاهاة فقال للمعتوة من أين لك هذه الدجاجة يا فلان فقال أعطانيها القاضى والله الساعة فأخذها من يده وجعل يجسها فقال خذها إليك القاضى أعطاكها مقربلة ولا خير لك فيها فأنصرف إليه عاجلاً وقل له أنما مقربلة فيد لها سمينة فالشىء عنده كثير فرجع إليه المعتوه بما وأصابه فى جماعة وقال له يا قاضى هذه الدجاجة مقربلة فابدها

بسمينة فعرف القاضى هذه الداخلة وقال له ها قما حتى أراها فأخذها وجسها وقال  
له صدقت فمن أين عرفت أنها مقربلة بعد ما مضيت بما فقال له قاهلى ذلك  
الفقيه الذى عند درب بنى أبى زيد قال وما صفته فوصف له صفته فاستدل بما إلى  
أنه الملقب بديك البادية فأمر فأبدلت بأخرى وقال له ارجع إلى ذلك الرجل  
فأعرضها عليه، وقل له قد أبدلها القاضى وسله أن يعطيك الديك الذى سيق له من  
البادية أمس فإنه لا يصلح لهذه الدجاجة غيره فإتيك منه نسل حسن فأنقلب  
المعتوه لذلك الرجل وأتاه وهو فى جماعة والدجاجة معه وقال له قد أبدل القاضى  
الدجاجة ولكن أعطنى أنت ديك البادية الذى أتاك فىكون زوجاً لهذه الدجاجة  
فأنتهره الزيدى وتغير لونه فأرى المعتوه غيظاً عليه فجعل يبكى ويلطم وجهه  
ويحلف أن لا يزول إلا بالديك وكان يأتى منه عند المنع مالا صبر عليه فأضطر  
الزيدى إلى أن دخل فأخرج له ديكاً من داره افتداء منه فأخذها وانطلق عنه. وقال  
أصحاب القاضى محمد بن عيسى ركبنا لبعض الأمر فى مركب حافل من وجوه  
الناس إذ عرض لنا فتى متأدب قد خرج من بعض الازقة سكران يتمايل فلما رأى  
القاضى هابه وأراد الانصراف فخائنه رجلاه فاستند إلى الحائط وأطرق فلما قرب  
القاضى رفع راسه ثم انشأ يقول:

فأضحى به فى العالمين فريدا  
فلم أر فيه للشراب حدودا  
صبورا على ريب الزمان جليدا  
تروح به فى العالمين حميدا  
لسانا على مر الزمان حديدا

ألا أيها القاضى الذى عم عدله  
قرأت كتاب الله أستعين مرة  
فإن شئت أن تجلد فونك منكبا  
وإن شئت تعفو تكن لك منة  
وإن أنت تختار الحديد فأن لى

فلما سمع القاضى شعره وميز أدبه أعرض عنه وترك الانكار عليه ومضى

لشأنه والله تعالى أعلم.



## الفييه

### أبو عبد الله بن أبي زمنين :

فقيه ، متبتل ، وزاهد لا منحرف إلى الدنيا ولا منتقل ، هجرها هجر المنحرف ، وحل أوطانه فيها محل المعترف ، لعلمه بارتحاله عنها وتقويضه ، وأبد الها منه وتعويضه ، فنظر بقلبه لا بعينه ، وانتظر يوم فراقه وبينه ، ولم يكن له بعد ذلك بما اشتغال ، ولا في شعاب تلك المسالك إيغال ، وله تأليف في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه ، والتأهب للأرتحال والتقل من حبائل الاغترار واشراكه ، والتنقل من حال إلى حال ، ويستدل به على ذلك الانتحال فمن ذلك قوله :

الموت في كل حال ينشر الكفنا	ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تظمن إلى الدنيا ومهجتها	وان توشحت من أثوابها الحسننا
أين الاحبة والجيران ما فعلوا	أين الذين هم كانوا لنا سكنا
سقامهم الدهر كاساً غير صافية	فصيرقم لاطباق الثرى رهنا
تبكى المنازل منهم كل منسجم	بالمكرمات وترثي البر والمننا
حسب الحمام لو أبقاهم وأهمهم	ألا تظن على معلوة حسنا

\* له ترجمة واقية في ترتيب المدارك للقاضي عياض ، معالم الإيمان للدباغ ، شجرة النور الزكية . هو محمد بن عبد الله بن عيسى المرى أبو عبد الله المعروف بابن أبي زمنين فقيه مالكي من الوعاظ الأدباء من أهل البيرة ، سكن قرطبة ثم عاد إلى البيرة فتوفى فيها سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م . سئل لم قيل لكم بنو أبي زمنين . فقال : لأ أدري . له كتب كثيرة في الفقه والمواعظ . منها : " أصول السنة ومنتخب الأحكام " و " تفسير القرآن " و " المغرب " في المدونة وشرح مشكلها ، فقه و " حياة القلوب " زهد ، و " النصائح المنظومة " شعره و " آداب الإسلام " ولد سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م .

## الفقيه

### أبو مروان عبد الملك الطنبلي

من ثنية شرف وحسب ، ومن أهل حديث وأدب ، إمام في اللغة متقدم ،  
فارع لأهل رتب الشعر متسم ، له رواية بالأندلس ورحلة إلى المشرق ثم عاد وقد  
توج بالمعارف مفرقاً ، وقام بقرطبة علماً من أعلامها ، ومتسماً لترفعها وأعظامها ،  
تؤثره الدول ، وتصطفيه أملاكها الأول ، وما زال فيها مقيماً ، ولا برح في طريق  
أمانها مستقيماً ، إلى أن أعتيل في إحدى الليالي بقضية يطول شرحها فأصبح مقتولاً  
في فراشه ، مذهولاً كل أحد من انبساط الطرب إليه على انكماشه ، وقد أثبت من  
محاسنه ما يعجب السامع ، وتصفى إليه المسامع ، فمن ذلك قوله:

وضاعف ما بالقلب يوم رحيلهم      على ما به منهم حنين الابعر  
واصر عن أحباب قلب ترحلوا      ألا أن قلبي سائر غير صابر

ولما رجع إلى قرطبة وجلس ليرى ما احتقبه من العلوم اجتمع إليه في المجلس  
خلق عظيم فلما رأى تلك الكثرة ، وماله عندهم من الأثره ، قال :

---

\* له ذكر في جذوة المقتبس ومعالم الإيمان ، وشجرة النور الزكية . هو عبد الله بن زيادة  
الله بن أبي مضر التميمي الحماني أبو مروان الطنبلي ، عالم باللغة والحديث ، شاعر أصله من  
طنبه بالأندلس وهو من أهل قرطبة رحل إلى المشرق وحج وكتب عن لقي من العلماء  
وعاد فأملئ كثيراً من تقيدهاته ، ولد سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠٦ م . وقال ابن حبان: قتلته  
جواربه لتفتيره عليهم وكان يوصف بالبخل المفرط .

أنى إذا حضرنتنى ألف محبرة  
نادت بعقوتى الاقلام معلنة  
يكتبن حدثنى طوراً وأخبرنى  
هدى المفاخر لا قعيان من لبن

( وكتب إلى ذى الوزارتين الكاتب أبى الوليد بن زيدون )

أبا الوليد وما شطت بنا الدار  
وبينما كل مانذريه من ذمم  
وكل عتب وأعتاب جرى فله  
فاذكر أخاك بغير كلما لعبت  
وقل منا ومنك اليوم زوار  
وللصبي ورق خضر وانوار  
بدائع حلوة عندى وآثار  
به الليالى فان الدهر دوار



## الفقيه

### العالم أبو عمرو أحمد رحمه الله تعالى

عالم ساد بالعلم ورأس ، وأقتبس به من الخطوة ما اقتبس ، وشهر بالأندلس حتى صار إلى المشرق ذكره ، واستطار شرر الذكاء فكره ، وكانت له عناية بالعلم وثقة ، ورواية له متسقة ، وأما الأدب فهو كان حجته ، وبه عمرت الافهام لجته ، مع صيانة ورع ، وديانة ورد ماءها فكرع ، وله التأليف المشهور الذى سماه بالعقد ، وحماه عن عشرات النقد ، لأنه أبرزه مثقف القناه ، مرهف الشباه ، تقصر عنه ثواب الألباب ، وتبصر السحر منه في كل باب ، له شعر انتهى منتهاه ، وتجاوز سماك الإحسان وسهاه ، أخبرني أبو محمد بن حزم أنه مر بقصر من قصور قرطبة لبعض الرؤساء فسمع منه غناء أذهب له ، وأهلب قلبه ، فينا هو واقف تحت القصر إذ رش بماء من أعاليه فأستدعى رقعة وكتب إلى صاحب القصر بهذه القطعة :

يا من يضمن بصوت الطائر الغرد	ما كنت أحسب هذا البخل في أحد
لو أن أسمع أهل الأرض قاطبة	أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا ترض على سمعى ومن به	صوتا يجول مجال الروح في الجسد
أما النيذ فأني لست أشربه	ولا أحبل الا نسوتى ييــــدى

وعزم فتى كان يتألفه ، وخامره كلفه ، على الرحيل في غده ، فأذهب عزمته قوى جلده ، فلما أصبح عاقته السماء بالأنوا ، وساقته مكرها إلى النوى ، فأستراح

\* ورد ذكره في معالم الإيمان والتكملة لابن الأبار وشجرة النور الزكية.

أبو عمرو من كمدته، وأنفح له من التواصل متضايق أمدته، فكتب إلى المذكور ،  
العازم على البكور :

هيات يابى عليك الله والقدر      هلا ابتكرت ليين أنت مبتكر  
حتى رثى لى فيك الريح والمطر      مازلت أبكى حذار اليين ملتها  
نيرانها بغليل الشوق تستعر      يابرده من حيا مزن على كبدى  
حتى أراك فأنت الشمس والقمر      آليت ألا أرى شمساً ولا قمراً  
( ومن شعره الذى صرح به تصريح الصب ، وبرح فيه من وقائع اسم )  
( الحب ، قوله )

ياوحشة الروح بل يا غربه الجسد      الجسم فى بلد والروح فى بلسد  
من رحمة فهما سهماك فى كبدى      ان تبك عينك لى يا من كلقت به  
( ومن قوله )

ثم نادى متى يكون التلاق      ودعتنى بزورة واعتساق  
بين تلك الجيوب والاطواق      وبدت لى فاشرق الصبح منها  
بين عينيك مصرع العشاق      يا سقيم الجفون من غير سقم  
ليتنى مت قبل يوم الفراق      أن موت الفراق أفجع يوم  
( وله أيضاً )

خطين هاجاً لوعة وبلا بلا      يا ذا الذى خط الجمال بحده  
حتى لبست بعارضيك حائللا      ما صح عندى أن لحظك صارم

أخبرني بعض العلية أن الخطيب أبا الوليد بن عباد حج فلما انصرف تطلع  
إلى لقاء المنبى واستشرف ورأى أن لقيته فائدة يكتبها، وحلة فخر لا يحسبها،

فصار إليه فوجده في مسجد عمرو بن العاص ففأوضه قليلاً ثم قال أنشدني للمليح  
الأندلس يعني ابن عبد ربه فأنشده :

يا لؤلؤ يسي العقول أنيقاً	ورشا بتقطيع القلوب رفيقاً
ما أن رأيت ولا سمعت بمثله	درا يعود من الحياء عقيقاً
وإذا نظرت على محاسن وجهه	أبصرت وجهك في سناه غريقاً
يا من تقطع خصره من رقة	ما بال قلبك لا يكون رقيقاً

فلما أكمل إنشاده استعادها منه وقال يا ابن عبد ربه لقد تأتيتك العراق  
حبوا وله أيضاً :

ومعذره نقش الجمال نجمده	حسننا له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفوننه	من نرجس جعل النجاد بنفسجا

( وله أيضاً رحمه الله )

وساحة فضل الذبول كأنها	قضيت من الريحان فوق كئيب
إذا مابت من خدرها قال صاحبي	أطعني وخذ من وصلها بنصيب

( وله أيضاً )

هيج الشوق دواعي سقمي	وكسا الجسم ثياب الاليم
أيها العين أقلني مرة	فإذا عدت فقد حل دمي
يا حلى الدرع ثم في غبطة	أن من فارقته لم ينم
فلقد هاج بقلبي سقما	حب من لو شاء داوى سقمي

وبلغ سن عوف بن محلم ، وأعترف بذلك إعراف متألم ، عند ما وهت  
شدته ، وبليت جدته ، وهو آخر شعر قال ، ثم عثر في اذيال الردى وما استقال :

طويت زمانى برهة وطوانسى  
وصرفان للأيام معتوران  
وعشر أتت من بعدها سنتان  
ودونكما منى الذى تريان  
ولى من ضمان الله خير ضمان  
إذا كان عقلى باقياً ولسانى

كلانى لما بي عاذلى كفسانى  
بليت وأبليت الليالى وكرها  
ومالى لا أبلى لسبعين حجة  
فلا تسألانى عن تباريح على  
وأنى بحول الله راج لفضله  
ولست ابالى عن تباريح على

وفى أيام اقلاعه عن صوته ، وارتجاعه عن تلك الغفلة وأوبته ، وانتثائه عن  
حجون النجون، إلى صفاء نوبته، محض أشعاره فى الغزل وقص من قوادمها  
وخوافيها، بأشعار فى الزهر على أعاريضها وقوافيها، منها القطعة التى أولها، هلا  
ابتكرت لبين أنت مبتكر، محضها بقول :

ما الذى بعد شيب الرأس تنتظر  
عن الحقيقة وأعلم أنها سقر  
للظالمين فلا تبقى ولا تذر  
لكان فيه عن اللذات مزدجر  
هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر

ياقادرا ليس يعفو حين يقدر  
عابن بقلبك أن العين غافلة  
سوداء تزفر من غيظ إذا سفرت  
لو لم يكن لك غير الموت موعظة  
أنت المقول له مبتدئاً ما قلت مبتدئاً



## الفقيه

### أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي

إمام اللغة والأعراب، وكعبة الآداب، أوضح منها كل إمام، وفضح دون الجهل بما محل الإفهام، وكان أحد ذوى الأعجاز، وأسعد أهل الاختصار والإيجاز، نجم والأندلس في إقبالها، والأنفس أول قَمَهما بالعلم واهتباها، فنفت لهم عندهم البضاعة، واتفقت على تفضيله الجماعة وأشاد الحكم بذكره، فأورى بذلك زناد فكره، وله اختصار العين للخليل، وهو معدوم النظر والمثيل، ولحن العامة وطبقة النحويين وكتاب الواضح، وسواها من كل تأليف مخجل لمن أتى بعده فاضح، وله شعر مصنوع ومطبوع، كأنما يتفجر من خاطره ينبوع، وقد أثبت له منه ما يقترح، ولا يطرح، فمن ذلك قوله :

لك من أن قيمـــــــــــــــــ  
من جوى القلب السقيم  
في دجى الليل البهيم

كيف بالدين القويم  
ولقد كان شفاء  
يشرق الحسن عليها

\* هو محمد بن الحسن الزبيدي النحوى الأندلسى أبو بكر من الأئمة فى اللغة العربية، ألف فى النحو كتاباً سماه "الواضح" واختصر كتاب "العين" اختصاراً حسناً، وجمع كتاباً فى "الأبنية" وكتاباً فى "لحن العامة" وكتاباً فى "أخبار النحويين" ورسالة "الانتصار للخليل" فيما رد عليه فى "العين" إلى غير ذلك وله شعر جميل كثير. توفى سنة ٣٨٠ هـ، روى عنه ابنه أبو الوليد محمد وأبو القاسم إبراهيم بن محمد بن ذكرى المعروف بابن الإقليل. انظر المزيد فى: الوائى بالوفيات ٢/ ٣٥١، نفح الطيب ٥/ ٢٤، ١٥٢ - ١٥٣ و٦٦/٦، معجم الأدباء ١٨/ ١٧٩ - ١٨٤، وفيات الأعيان ١/ ٥١٤، روضات الجنات ٦١٦، بغية الملتبس ٥٦ - ٥٧، بغية الوعاة ٣٤، تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٨٣، جذوة المقتبس ٢٠ - ٢٢.

( وكتب مراجعاً )

أغرقتني في بحور فـكـر	فكدت أموت غما
كلفتني غامضا غويصا	أرجم فيه الظنون رجما
مازلت أسرى السجوف عنه	كأنني كاشف لظلما
أقرب من ليلة وأنأى	مستبصراً نارة وأعمى
حتى بدا مشرق الحيسا	لما اعتلى طالعا وتما
لله من منطلق وجيز	قد جل قدراً ودق فهما
أخلصت لله فيه قولاً	سلمت لله فيه حكماً
أذ قلت قول أمراء حكيم	مراقب للآله علماً
الله ربي ولي نفسي	في كل يؤس وكل نعمى

وكتب إلى أبي مسلم بن فهد وكان كثير التكبر، عظيم التجبر، متبعثراً لسانه  
مفتقراً من المعالم جنانه:

أبا مسلم أن الفتى بفؤاده	ومقوله لا بالمراكب والبس
وليس دواء المرء يغني قلامه	إذا كان مقصور على قصر النفس
ليس يفيد العلم والحلم والحجى	أبا مسلم طول القعود على الكرسي <sup>(١)</sup>

(١) وردت هذه الأبيات في انباه الرواة ١٠٩ / ٣ .

واستدعاه الحكم المنتصر بالله أمير المؤمنين فبعجل إليه وأسرع، وفرع إليه  
من رياء الآمال ما فرع ، فلما طالت نواه ، واستطالت عليه لوعته وجواه وحن إلى  
مستقره بأشيلية ومناه ، استأذن الحكم في اللحوق بما فلومه ولواه ، فكتب إلى  
من كان يألفه ويهواه :

ويحك يا سلم لا تراعى	لابد للبين من مساعى
لا تحسبني صبرت إلا	كصبر ميت على التراع
ما خلق الله من عذاب	أشد من وقفة الوداع
ما بيننا والحمام فرق	ولا المناجاة في النواع
أن يفترق شملنا وشيكا	من بعد ما كان في اجتماع
فكل شمل على افتراق	وكل شعب على الصداع
وكل قرب إلى بعساد	وكل وصل إلى انقطاع <sup>(١)</sup>



(١) وردت هذه الأبيات في أنباه الرواة ١٠٩ / ٣ .

## الفقيه

### أبو محمد علي بن حزم

فقيه مستنبط، ونبه بقياسه مرتبط ، ما تكلم تقليداً، ولا تعدى اختراعاً وتوليداً ، ما تمت به الأندلس أن تكون كالعراق، ولاحت الأنفس معه إلى تلك الآفاق، أقام بوطنه ، وما برح عن عطنه ، فلم يشرب ماء الفرات، ولم يقف عشبه الثمرات، ولكنه أربى على من ذلك غدى، وزاد على من هناك قد نعل وحذى، تفرد بالقياس، وأقتبس نار المعارف أئى أقتباس، فناظر بها فيلق وقياس، وصنف وحرر حتى أفنى الأنفاس، ونبذ الدنيا ، وقد تصدت له بافتن محيا، وأهدت إليه أعقب

\* هو ابن حزم الإمام العلامة الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف الفارسي الأصل اليزيدي الأموي مولا هم القرطبي الظاهري. كان أولاً شافعيًا ثم تحول ظاهرياً وكان صاحب فنون وورع وزهد، وإليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم، أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علوم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار، له "المخلى" في الفقه على مذهبه واجتهاده وشرحه هو المخلى و"الملل والنحل" و"الإيصال" في فقه الحديث وغير ذلك. آخر من روى عنه بالإجازة أبو الحسن شريح بن محمد، مات في سنة ٤٥٧ هـ .

انظر الزيد في : جذوة المقتبس ٣٠٨ ، تاريخ الحكماء ٢٣٢ ، الصلة ٢ / ٤١٥ ، بغية الملتص ٤١٥ ، معجم الأدباء ١٢ / ٢٣٥ ، المطرب ٩٢ ، المعجب ٣٢ ، المغرب في حلى المغرب ١ / ٣٥٤ ، وفيات الأعيان ٣ / ٣٢٥ ، تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٤٦ ، دول الإسلام ١ / ٢٦٨ ، سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٨٤ ، العبر ٣ / ٢٣٩ ، مرآة الجنان ٣ / ٧٩ ، البداية والنهاية ١٢ / ٩١ ، الإحاطة ٤ / ١١١ ، لسان الميزان ٤ / ١٩٨ ، النجوم الزاهرة ٥ / ٧٥ ، أخبار العلماء ١٥٦ ، شذرات الذهب ٣ / ٢٩٩ .

عرف وريا، وخلع الوزارة وقد كسته ملاها، وألبسته حلاها، وتجرد للعلم وطلبه ،  
 وجد في اقتناء نخبه، وله تأليف كثيرة، وتصانيف أثيره ، منها الإيصال، إلى فهم  
 كتاب الخصال، وكتاب الأحكام لأصول الأحكام، وكتاب القصد والمثل ،  
 والأهواء والنحل ، وكتاب مراتب العلوم وغير ذلك ، مما لم يطر مثله من هنالك،  
 من سرعة الحفظ، وعفاف اللسان واللحظ، وفيه يقول خلف بن هارون :

نحوض إلى المجد والمكرمات      بحار الخطوب وأهوالها  
 وان ذكرت للعلی غاية      ترقی إليها وأهوی لها

وله في الأدب سبق لا ينكر، وبديهة لا يعلم أنه روى فيها ولا فكر، وقد  
 أثبت من شعره ما يعلم أنه أوحده، وما مثله فيه أحد، فمن ذلك قوله :

وذی عدل فیمن سبائی حسنه      يطیل ملامی فی الهوی ویقبول  
 أمن حسن وجه لاح لم تر غيره      ولم تدر کیف الجسم أنت قتیل  
 فقلت له اسرفت فی اللوم فاتتد      فعندی ود لو أشاء طویل  
 ألم تر أنى ظاهری وأنى      علی ما بدا حتى یقوم دلیل  
 ( وله أيضا )

هل الدهر إلا ما عرفنا وأنكرنا      فجائعه تبقى ولذاته تفنى  
 إذا أمكنت فيه مسرة ساعة      تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا  
 إلى تبعات في المعاد وموقف      تود إليه أننا لم نكن كنا  
 حصلنا على هم واثم وحسرة      وفات الذى كنا نلد به عنا  
 حنين بها ولى وشغل بها أنى      وهم بها يغشى فعينك لا قننا  
 كأن الذى كنا نسر بكونه      إذا حقيقته النفس لفظ بلا معنى

( وله أيضاً )

ولى نحو أكناف العراق صباية      ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب  
فأن يزل الرحمن رحلى بينهم      فحينئذ يبدو التأسف والكرب  
هنالك تدرى أن للعبد قصة      وان كساد العلم آفته القرب

( وله أيضاً )

لا تسمتن حاسدى ان نكبة عرضت      فالدهر ليس على حال بمترك  
ذو الفضل طورا ترأه تحت ميقعة      وتارة قد يرى تاجاً على ملك

( وله أيضاً )

لئن أصبحت مرتحلاً بشخصى      فروحى عندكم أبداً مقيم  
ولكن للعيان لطيف معنى      به سال المعاينة الكريـم



## الفقيه

### أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخشني

كان فصيح اللسان، جزيل البيان، وكان أنوفاً منقبضاً عن السلطان، لم يتشبث بدنيا، ولم ينكث له مبرم عليا، دعاه الأمير محمد إلى القضاء فلم يجب، ولم يظهر رجاء المحتجب، وقال أبيت عن إمامة هذه الديانة، كما أبت السموات والأرض عن حمل الأمانة، إباءة اشفاق، لا إباءة عصيان ونفاق، وكان الأمير قد أمر الزراء بإجباره، أو حمل السيف أن تمادى على تأبيه وإصراره، فلما بلغه قوله هذا أعفاه، وكان الغالب عليه علم النسب، واللغة والأدب، ورواية الحديث وكان مأموناً ثقه، وكانت القلوب على محبته متفقه، وله رحلة دخل فيها العراق، ثم عاد إلى هذه الآفاق، وعندما أطمأنت داره، وبلغ أقصى مناه مداره، قال :

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة      إذا كان من بعد الفراق تلاق  
كان لم تورق بالعراقيين مقلتي      ولم تمر كف الشوق ماءً أماقي  
ولم أزر الأعراب في جنب أرضهم      بجنب اللوى من رامة وبراق  
ولم أصطحب في اليد من قهوة الندى      كؤوساً سقاني الين جد دهاق



\* هو الخشني الحافظ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن ثعلبة القرطبي اللغوي صاحب التصانيف، ثقة كبير الشأن، يذكر مع بقى وذويه، طلب للقضاء فامتنع ونشر بالأندلس حديثاً كثيراً مات سنة ٢٨٦ هـ .

انظر المزيد في : طبقات النحويين واللغويين ٢٦٨ ، تاريخ علماء الأندلس ٢ / ١٤ ، جذوة المقتبس ٦٨ ، بغية المتتمس ١٠٣ ، الباب ١ / ٤٤٦ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٤٩ ، البلغة في تاريخ أئمة اللغة ٢٢٦ ، بغية الوعاة ١ / ١٦٠ .

## الفييه

أبو محمد عبد الله بن محمد

المعروف بابن الفرضي القاضي

كان حافظاً عالماً كلفاً بالرواية رحل في طلبها، وتجر في المعارف بسببها، مع حظ من الأدب كثير، واختصاص بنظم منه ونثير، حج وبرع في الزهادة والورع، فتعلق باستار الكعبة يسأل الله الشهادة ثم فكر في القتل ومرارته، والسيف وحرارته، فأراد أن يرجع ويستقبل الله فاستحيا، ثم آثر نعيم الآخرة على شقاء الدنيا، فأصيب في تلك الفتن وقتل مظلوماً، أخبرني من رآه في جملة القتلى وهو بآخر رمق أنه سمعه يقول بصوت ضعيف في سبيل الله والله يعلم من يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه ينفث دماً لونه لون الدم وريحه ريح المسك كأنه يعيد الحديث على نفسه ثم قضى ومما قال في طريقه، يتشوق إلى فريقه:

---

\* هو الإمام الحجة أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبي صاحب " تاريخ الأندلس " و " المؤلف والمختلف " وغير ذلك. أخذ عنه ابن عبد البر قال : وكان فقيهاً عالماً في فنون العلم والحديث والرجال. وقال غيره : لم تر مثله بقرطبة في سعة الرواية وحفظ الحديث ومعرفة الرجال والأدب البارع، ولد سنة ٣٥١ هـ وولى قضاء بنسية وقتله البربر سنة ثلاث وأربعمائة .

انظر المزيد في : جذوة المقتبس ٢٥٤ ، الصلة ١ / ٢٥١ ، بغية المنتسب ٣٣٤ ، المغرب في حلى المغرب ١ / ١٠٣ ، وفيات الأعيان ٣ / ١٠٥ ، تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٧٦ ، سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٧٧ ، العبر ٣ / ٨٥ ، الديباج المنهـب ١ / ٤٥٢ ، نفع الطيب ٢ / ١٢٩ ، شذرات الذهب ٣ / ١٦٨ ، هدية العارفين ١ / ٤٤٩ .

مضت لى سنون منذ غبتم ثلاثة  
وما خلتنى ابقى اذا غبتم شهرا  
وما لى حياة بعدكم أستلذها  
ولو كان هذا لم أكن فى الهوى حرا  
ولم يسلفى طول التانى عنكم  
بلى زادنى وجدا وجدد لى ذكرا  
يمثلكم لى طول شوقى إليكم  
ويدنيكم حتى أناجيكم سرا  
سأستعب الدهر المفرق بيننا  
وهل نافعى أن صرت أستعب الدهرا  
أعلل نفسى بالمنى فى لقائكم  
واستسهل البر الذى جيت والبحر  
ويؤنسى طى المراحل عنكم  
أروح على أرض وأغدو على أخرى  
وتالله ما فارقتكم عن قلبى لكم  
ولكنها الأقدار تجرى كما تجرى  
رعتكم من الرحمن عين بصيرة  
ولا كشفت أيدى النوى عنكم سرا  
( وله أيضا )

أن الذى أصبحت طوع يمينه  
إن لم يكن قمراً فليس بدونه  
ذلى له فى الحب من سلطانه  
وسقام جسمى من سقام جفونه



## الفييه

### أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة :

كان على طريقة من الزهد والعبادة سبق فيها ، واتسق في سلك محتذيها ، وكانت له إشارات غامضة، وعبارات عن منازل الملحددين غير داحضة، ووجدت له مقالات ردية ، واستبطات مردية، نسب بها إليه زهق ، وظهر له فيها مزحل عن الرشد ومزهق ، فتبعت مصنفاته بالحدق، واتسع في استماحتها الخرق، وغدت مهجورة ، على التالين محجورة، وكان له تميمق البلاغة وتدقيق لمعانيها، وتزويق لأعراضها وتشديد لمبانيها ، ومن شعره ما كتب به على أبي بكر اللؤلؤى يستدعيه في يوم مطر وطن :

أقبل فان اليوم يوم دجن      إلى مكان كالضمير مكنى  
لنا بحكم فيه اشهى فسن      فأنت في ذا اليوم أمشى منى



\* له ترجمة وافية في : جذوة المقتبس ٥٨ ، ومعالم الإيمان، شجرة النور الزكية، الصلة : هو محمد بن عبد الله بن مسرة أبو عبد الله متصوف متفلسف أندلسى من دعاة الإسماعيلية من أهل قرطبة. ولد سنة ٢٦٩ هـ / ٨٨٣ م ، ومات سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م . قال الحميدى : له طريقة في البلاغة وتدقيق في غوامض إشارات الصوفية، وتآليف في المعاني ونسبت إليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها . وقال ابن الفرضى: أقم بالزندقة فخرج فاراً، وتردد بالمشرق مدة، ثم أنصرف إلى الأندلس وكان يحرف التأويل في كثير من القرآن ، وقد رد عليه جماعة من أهل المشرق، وفي تاريخ قضاة الأندلس أن القاضى ابن زرب وضع كتاباً في الرد على ابن مسرة واستتاب بعض أتباعه و " أحرق ما وجد عندهم من كتبه وأوضاعه " .

